تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ عبد الحكيم بن حسن ناصري -حفظه الله-

تفريغ المجلس (٠٠٣) [تتمة تفسير الاستعاذة]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا عبد الحكيم بن حسن ناصري –حفظه الله ونصره-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وبعد:

لا زلنا مع تفسير الاستعاذة، وقلنا هي (**الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه**) الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم هي الالتجاء إلى الله والاحتماء به والاعتصام به، والهروب إليه حتى يحميك من هذا العدو المهلك، فأعتى عدو للإنسان في هذه الدنيا هو الشيطان، فالاستعاذة به ﷻ لأنه هو وحده القادر على أن يدفع عنك وساوس الشيطان، وهمزاته، وشروره، وإيذاءه لك، لا أحد يقدر على فعل هذا إلا رب العالمين، هذا فيما يتعلق بمعنى الاستعاذة.

تكلم اليوم إن شاء الله على مسألتين، فالاستعاذة تتضمن معناها، وهذا الأصل الأول، والأصل الثاني هو المستعاذ به، والأصال الثالث هو المستعاذ منه، وقد تقدم الكلام عن الأصل الأول –عن معاناها– بقي الكلام عن المستعاذ به.

[المستعاذ به ﷻ]

والمستعاذ به هو الله ﷻ وهو ﷻ في القرآن الكريم أمرنا أن نستعيذ به، وأمر نبيه ﷺ أن يستعيذ به، ولهذا فالاستعاذة لا تصح إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته، كما قال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾الفلق، أمره أن يستعيذ من هذه الأمور الأربعة، أن يستعيذ برب الفلق، بالله، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾الناس.

جميع الاستعاذات التي جاءت في القرآن الكريم إنما أمر ﷻ عباده أن يستعيذوا به، ورسول الله ﷺ في جميع الأحاديث التي جاءت عنه كان يستعيذ بالله أو بصفة من صفاته، لأن الله ﷻ هو الذي يعيذ المستعيذين، يسمع استعاذتهم ويعيذهم مما استعاذوا منه، من الشرور التي يستعيذون منها.

[لا يستعاذ إلا بالله تعالى]

ولهذا لا يجوز الاستعاذة بغير الله، لا بالأنبياء، ولا بالرسل، ولا بالملائكة، ولا بالصالحين، بل إن الاستعاذة بالمخلوق تزيده طغيانا وكبرا وتعاظما وشرًّا كما قال تعالى حكاية عن مؤمني الجن أنهم قالوا ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾الجن٦ الرهق هو الإثم، وغشيان المحارم، وذلك أن

العرب قديما كان أحدهم إذا كان مسافرا، ونزل بأرض قفر يدعو ويقول (**أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه**) يعني يستعيذ بسيد الجن من شر سفهاء قومه، قالوا: فيبيت في أمان حتى يصبح، هذا الكلام الذي كان يقوله الناس في الجاهلية يحكي عنه مؤمنو الجن فيقولون ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، زادوهم طغيانا وتعاظما وشرا لأنهم ماذا قالوا؟ سادة الجن قالوا: سدنا الإنس والجن، أما الجن فنحن سادتهم، وأما الإنس فإنهم يستعيذون بنا، فزادهم ذلك شرا وبطرا وطغيانا، ولهذا فإن الاستعاذة تكون برب العالمين.

[الاستدلال بالاستعاذة على صفة كلام الله ﷻ]

وبناء على ذلك قال أهل السنة والجماعة: هذا يدل أيضا على صحة قولهم في مسألة كلام الله ﷯، كلام الله تعالى صفة من صفاته، لا كما تقول بعض الطوائف، هناك طوائف أرادت أن تفلسف آيات القرآن الكريم، وآيات الصفات، يعني أن تخضعها للفلسفة اليونانية، فأنكروا صفات الله ﷯، إما كلّا وإما جزءً، مما أنكروه قضية الكلام، قالوا: كلام الله مخلوق، وليس صفة من صفاته.

نحن نقول: النبي ﷺ كان يستعيذ بالله أو يستعيذ بكلمات الله، كما جاء في صحيح مسلم (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)[1]، (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة)[2] فكان يستعيذ بكلمات الله، ونحن نعلم أن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، فهذا يدل على أن كلام الله صفته، وثبت عن النبي ﷺ أنه يستعيذ بصفات الله، كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ في دعاء السجود كان يقول (أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت

---

[1] أخرجه مسلم (٢٧٠٩)
[2] أخرجه البخاري (٣٣٧١)

على نفسك)[١] يقول في أول حديث (أعوذ برضاك من سخطك) هذا يدل على صفة الله ﷻ أنه يوصف بالرضا، ويوصف بالعفو.

وجاء في حديث آخر (أعوذ بعزة الله وقدرته)[٢] فهذا إثبات صفة العزة، لأن بعض الطوائف أنكرت هذه الصفات، أنكرت صفة الرضا، وصفة العفو، وصفة العزة، لكن النبي ﷺ لما استعاذ بها علمنا أنها من صفات الله تعالى، هذا فيما يتعلق بالمستعاذ به وهو رب العالمين.

[المستعاذ منه وأقسامه]

أما الأصل الثالث فهو المستعاذ منه، الإنسان عندما يستعيذ، يستعيذ بالله ممن؟ المستعاذ منه على قسمين:

[الاستعاذة من الشر الذي يقع من النفس]

١= القسم الأول هو شرور واقعة من العبد، هي من فعل العبد ومن كسبه وسيحاسب عليها، يحاسب عليها في الدنيا، ويحاسب عليها يوم القيامة، هذا الشر الذي وقع من العبد هو الذنوب وموجباتها، الذنوب وما يترتب عليها من العقوبات، إذن فما يستعاذ به ما كان واقعا من العبد فيرجع إلى هذا النوع من الشر وهي الذنوب والمعاصي وموجباتها، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبة الجمعة، وفي خطبة النكاح وغيرها (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) وتقدم الكلام عن هذا في مقدمة الكتاب[٣] لأن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ افتتح كتابه بهذه الخطبة التي تسمى خطبة الحاجة، لكن لا بأس من التنبيه، ربما طال العهد بذلك فلا مانع من الإشارة لمعنى الاستعاذة في هذا الحديث.

---

[١] أخرجه مسلم(486)
[٢] أخرجه أبو داود (٣٨٩١)، والترمذي (٢٠٨٠)
[٣] يقصد الشيخ كتاب "الدرر البهية في المسائل الفقهية" لأنه يشرحه في نفس اليوم الذي يدرّس فيه التفسير.

[الاستعاذة من شرور النفس]

كان النبي ﷺ يقول (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) يستعيذ من هذين الشرين اللذين هما أعظم الشرور، شر النفس (من شرور أنفسنا) والنفس فيها خير وفيها شر، لكن الذي نستعيذ منه هو شر النفس، لأن النفس إذا صدر منها الشر فإنه يترتب عليه العقاب إما في الدنيا وإما في الآخرة، في الدنيا إما بالحد أو القصاص أو التعزير، هذه العقوبات الدنيوية وإما بعقوبة أخروية، فنستعيذ بالله من شرور أنفسنا، ونستعيذ به أيضا من سيئات أعمالنا.

[الاستعاذة من سيئات الأعمال]

وسيئات الأعمال أي الأعمال السيئة وهي الذنوب والمعاصي، وبعض العلماء قالوا –قريبا من هذا المعنى-: المراد بسيئات الأعمال عقوبات الأعمال، يعني العقوبات التي تترتب على الأعمال لأن هذه العقوبة تسوء من وقعت عليه، وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته، وهو الأقرب إلى الصواب، معنى وسيئات أعمالنا ليس من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وإنما من باب إضافة المسبب إلى السبب، لأن هذه الأعمال السيئة هي سبب للعقوبة، والعقوبة تسيء من وقعت عليه، ولهذا الأقرب في تفسيرات أهل العلم لهذا الحديث أن الاستعاذة من سيئات الأعمال استعاذة من عقوبات هذه الأعمال السيئة، وقد ذكر هذا وأشار إليه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

وسل العياذ من اثنتين هما اللتا * ن بهلك هذا الخلق كافيتان**

يعني شر النفوس وسيئات الأعمال تكفيان في هلك الخليقة كلها

شر النفوس وسيء الأعمال ما * والله أعظم منهما شران**

ولقد أتى هذا التعوذ منهما * في خطبة المبعوث بالقرآن**

يعني التعوذ من شر النفوس وسيئات الأعمال ورد في خطبة النبي ﷺ، هذا بما يتعلق بالشر الأول المستعاذ منه، يستعيذ الإنسان من شر نفسه ومن سيئات عمله.

[**الاستعاذة من الشر الذي يقع من الغير**]

٢= أما القسم الثاني فهو الشر الذي يقع من الغير، لا يكون صادرا من الإنسان، وإنما يكون صادرا من غيره، فإذا رأى هذا الشر استعاذ بالله منه، وهذا الغير الذي يصدر منه هذا الشر إما مكلَّف بالأحكام الشرعية، أو غير مكلّف، والمكلف إما نظيرك أو ليس نظيرك، نظيرك الإنسان، وليس نظيرك هو الجني، وغير المكلف مثل الهوام، السباع، الرياح، النار، الصواعق، هذه كلها نستعيذ بالله منها، يستعيذ الإنسان مما يؤذيه ومما هو شر بالنسبة إليه.

[**من استعاذ بالله منك فأعذه**!]

ولهذا جاء عن النبي ﷺ في صحيح البخاري لمّا أدخل عليه ابنت الجَون، تزوج بامرأة اسمها أميمة، وهي تلقب بابنت الجون أدخلت على النبي ﷺ فلما دنا منها أو وضع يده عليها قالت (**أعوذ بالله منك**) قال (لقد عذتِ بمَعَاذ الحقي بأهلك)[١] وطلقها وأمر لها بالمتعة، وهذه المرأة اختلف في سبب قولها للنبي ﷺ (**أعوذ بالله منك**) كلام عند أهل العلم، لكن مما يرجحه بعض العلماء أن بعض نساء النبي ﷺ وراء هذا، لما أدخلت هذه المرأة غرن منها وكانت من أجمل نساء العرب، فجئن إليها وقلن لها (**رسول الله ﷺ يحب هذه الكلمة: أعوذ بالله منك**) إذا أردتِ أن تكون لك حظوة عند النبي ﷺ وأن يحبك، ويفرح بك، إذا دخل قولي

[١] صححه الألباني في صحيح النسائي (3417) وغيره.

له (**أعوذ بالله منك**) سيفرح، فلما دخل وقالت له طلقها، فهذه غيرة النساء تكون حتى عند أمهاتنا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

لهذا قال النبي ﷺ (لقد عذتِ بمعاذ)، وفي رواية (لقد عذتِ بعظيم) ولهذا قال العلماء: من استعاذ بالله منك فأعذه، إلا إذا كنتَ معتدى عليك وكان ذلك لا يضرك، لكن من استعاذ بالله منك ولم يكن ظالما فأعذه، دعه وشأنه، إلا إذا كان هذا يرتبط بحقك.

إنسان لك عليه حقوق وطالبته بحقك، فيقول لك: أعوذ بالله منك، هذا لا يسقط الحق لأن فيه ظلم، لكن إذا خشي من إيذائك له، وكان هذا ليس حقا لك واستعاذ بالله منك أعذه كما قالت مريم عليها السلام ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ مريم١٨.

[كل المستعاذ منه إما لأنه يؤلم أو سبب للألم]

فهذه الاستعاذة، إذا كانت واقعة –وشرها كان واقعا– من غير العبد، يعني إما من نظيره الإنسي، أو غيره من المكلفين من الجن، أو من الدواب والسباع والهوام ونحو ذلك، فالنبي ﷺ استعاذ من أشياء، وهذه الأشياء التي استعاذ بالله منها كلها ترجع إلى أحد أمرين: إما إلى أنها مؤلمة، وإما لأنها سبب يفضي إلى الألم، فاستعاذاته ﷺ وما أمرنا أن نستعيذ بالله منه، كله يرجع إما لأنه مؤلم، وإما لأنه سبب للألم، ولهذا نجد في دعائه ﷺ في الصلاة في التشهد الأخير يستعيذ بالله من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

١= الاستعاذة من عذاب القبر وعذاب النار وهما أعظم المؤلمات.

٢= والاستعاذة من فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال وهما أعظم أسباب العذاب، لأنه من فتن بالدنيا أو فتن بالمسيح سيعذّب.

كان النبي ﷺ أيضا يستعيذ -كما في الحديث المتقدم- فيقول (أعوذ برضاك من سخطك) لأن السخط سبب في الألم، فإذا سخط الله عليك كان ذلك سببا في عذابك، استعاذ أولا من سبب الألم، ثم استعاذ ثانيا من أعظم المؤلمات قال (وبعفوك من عقوبتك).

وهكذا نجد في أحاديث النبي ﷺ سواء كان هذا الألم دنيويا، أو كان ألما أخرويا، فكان يستعيذ النبي ﷺ من الهم والغم يقول (أعوذ بك من الحزن والهم، والجبن، والبخل، وضلع الدَّين)[1] يعني غلبة الدين، أن يكون مدينا الناس يقرضونه المال ويعجز عن الوفاء، لأن هذا فيه مذلة، وهذا ألم نفسي، الحزن أيضا ألم نفسي، الهم، الغم، الجبن، والبخل . . لماذا هذا كله ألم؟ الإنسان الذي يبخل، يندم على بخله مستقبلا لأنه حرم نفسه مما هو حلال، وإذا حُرمتَ من الحلال معنى هذا أنك تتألم من هذا الحرمان.

ولهذا كان ﷺ -كما جاء في البخاري- يتعوذ من المأثم والمغرم، ويتعوذ حتى من هذه الحشرات يقول (أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة) من الهوام (ومن كل عين لامة) وفي القرآن الكريم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾الفلق١-٢، يدخل فيه كل شر خلقه الله ﷻ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهذا جماد غير مكلف، وهو الليل ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهذه مكلّفة ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ مكلّف، فتستعيذ بالله من هذه الشرور من الساحر، ومن الحاسد، ومن المؤذي، ومن العدو.

[1] أخرجه البخاري(2893)

كذلك كان النبي ﷺ يأمر بالاستعاذة من الريح فإذا هبت ريح شديدة يقول (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت إليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت إليه)[1]، فنجد استعاذات النبي ﷺ كلها استعاذات بالله من الشرور، سواء من شر نفسه، وسيئات أعماله، أو من الشر الذي يقع من غيره.

وهذا الشر الذي يقع من الغير إما أن يكون من إنسان، وإما من جني، وهذا ماجاء في القرآن الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، هذا في حق الجني المتمرد، ويكون أيضا حتى مع غير المكلفين كالحشرات المؤذية، والسباع، والريح، والعواصف، والقواصف، والآيات التي يخاف منها الإنسان ويخاف من شرها، يتعوذ بالله منها، فهذه هي الشرور التي يستعيذ منها المؤمن بالله، وأنا أحاول أن أختصر الكلام بما يتعلق بهذه المسائل لأنها تحتاج ربما إلى شيء من التركيز، ولهذا لا أريد أن أتوسع فيها لأن أهل العلم توسعوا في الكلام حول هذه المسائل وارتباطها بمسائل القضاء والقدر.

[الشر ينسب إلى الخلق لا إلى الخالق]

ونسبة الشر للمخلوق لا إلى الخالق، لأن الله تعالى قال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾الفلق١-٢، يعني من شر الذي خلق، فما هو موصولية، من شر الذي خلق، فأمر أن نستعيذ بالله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من كل الشرور التي خلقها الله ﷻ ولهذا فهذه الشرور لا تُنسب إلى الله ﷻ وإنما تنسب إلى المخلوق كما قال ﷺ (والشر ليس إليك)[2] كما في صحيح مسلم، وهذه المسألة لها ارتباطات، لو دخلنا فيها لتوسعنا جدا، لكن بابها في العقيدة، وعندما نصل إلى مسألة القضاء

---

[1] أخرجه مسلم (899)
[2] أخرجه مسلم(771)

والقدر في كتاب العقيدة نتطرق إليها إن شاء الله بالتفصيل، فيما يتعلق بإضافة الشر إلى المخلوق لا إلى الخالق لا وصفا ولا فعلا، كما سيأتي في بابه إن شاء الله.

[من صيغ الاستعاذة]

الاستعاذة أن تقول (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) (**أعوذ**) تكلمنا عنها، (**بالله**) لفظ الجلالة سيأتي الكلام في البسملة لأنه هو الموضع المناسب لذلك (**من الشيطان الرجيم**) هذه صيغة القرآن الكريم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾النحل٩٨، لكن ثمة صيغ أخرى صحت عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بها فيقول (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)، وجاء في رواية (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه)[1] وأحيانا فيه تقديم وتأخير (همزه ونفخه ونفثه)، وجاء في صيغة أخرى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم)[2].

[مناسبة مقام الاستعاذة لاسميه تعالى "السميع العليم"]

هذه كلها ثابتة عن النبي ﷺ والملاحظ فيها أنه ﷺ عندما استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وصف رب العالمين بصفتين (السميع العليم)، وهذا نجده في القرآن الكريم في سورة الأعراف ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الأعراف٢٠٠، وفي سورة فصلت ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾فصلت٣٦، نجد تماثلا في الآيات القرآنية مع أحاديث النبي ﷺ، (السميع العليم) في القرآن في موضعين، وفي حديث النبي ﷺ أيضا في موضعين أو أكثر، نفس العبارة يصفه بوصفين، نعتان مناسبان للمقام (السميع العليم).

[1] أخرجه أبو داود (775)، والترمذي (242)، وأحمد(11473)
[2] ذكره بهذا اللفظ الشوكاني في (رفع البأس عن حديث النفس) ص (10) وقال (صحيح).

نفسر معنى السميع والعليم ثم نذكر الحكمة في ذلك، (**السميع**) المراد بالسمع هنا سمع الإجابة وليس السمع العام، لأن السمع على نوعين: سمع عام وسمع إجابة، السمع العام هو إدراك الأصوات، الإنسان إذا أدرك صوتا تقول هذا سماع، لكن هناك سمع آخر وهو سمع خاص وهو المقصود، إذا كنت تسمع فما فائدة هذا السماع؟ ما يترتب عليه وهي الاستجابة، تسمع لتستجيب، هذه الاستجابة هي السماع الخاص.

ف(**السميع**) ليس يسمعك فقط بل يستجيب لك، ولهذا حينما تقول (سمع الله لمن حمده) يعني أجاب الله دعاء من حمده، وإبراهيم عليه السلام يقول ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾إبراهيم٣٩ يعني لمجيب الدعاء، فالمراد بالسمع هنا سمع الإجابة، وليس السمع العام الذي هو مجرد إدراك الأصوات. فالسميع يعني أن الله يسمع استعاذة المستعيذين.

و(**العليم**) عليم بما يستعيذون منه، يسمع يعني يجيب استعاذتك به، والتجاءك إليه، ويعلم ممن استعذب به، من شر نفسك، سيئات عملك، من الإنس، من الجن، الهوام . . الخ فهو يعلم هذا.

والحكمة في هذا أن ربنا ﷻ في القرآن الكريم لما أمرنا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم، هذا الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه، قال (إنه سميع عليم)، (إنه هو السميع العليم) سورة الأعراف، وسورة فصلت، لمّا أمرنا أن نستعيذ به من شر الإنسان الذي يرى بالأبصار، لم يقل (إنه هو السميع العليم) قال (إنه هو السميع البصير) في سورة غافر ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾غافر٥٦، ولمّا أمرنا أن نستعيذ به من الشيطان قال (إنه هو السميع العليم) علّق الاستعاذة بالعلم لأننا نعلم الشيطان ولا نراه.

لما تكلم عن الإنس أمرنا أن نستعيذ من شر الإنس قال ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ علق الاستعاذة هنا بالرؤية، لأن الإنسان يرى من هو من جنسه، فهذا من لطائف القرآن الكريم، وهذا ما تبعه النبي ﷺ، تبع القرآن في ذلك، فالاستعاذة إذا تعلقت بما لا نراه وبالشيطان فإنها تكون من باب العلم، أما إذا كانت الاستعاذة من الإنسي الذي يرى فإنها تكون من باب الرؤية، هذا ما يتعلق بقوله ﷺ (**أعوذ بالله السميع العليم**) أو (**إن الله هو السميع العليم**) فجمع بين هذين الوصفين أو النعتين، وهما مناسبان للمقام وهو مقام الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى.

جاء في بعض الروايات (**من همزه ونفخه ونفثه**) همزه هو صرعه وخنقه، تستعيذ بالله من الصرع، لأن الجني أو الشيطان يصرع الإنسان، وقد يخنقه ويؤذيه أثناء النوم أو أثناء الاستيقاظ فتستعيذ بالله من همزه.

(**ونفخه**) النفخ هو الكبر، (**ونفثه**) النفث هو الشعر، فتستعيذ بالله من هذه الصفات التي يتصف بها الشيطان.

[لماذا سمي الشيطان شيطانا]

قال (**من الشيطان**) الشيطان مفرد الشياطين، وأصل هذه الكلمة من (**شَطَنَ**) بمعنى بعد، تقول (**شطنت داره**) إذا بعدت، وسمي الشيطان شيطانا لبعده عن الخير، ولبعده عن الحق، وقد ورد هذا في شعر العرب كما في قول النابغة:

نأت بسعاد عنك نوى شطونُ * فبانت والفؤاد بها رهين**

يقول (**نأت بسعاد عنك نوى شطونُ**) يعني بعيدة، ولهذا يقال (**شطنت الدار**) إذا بعدت، فالشيطان سمي شيطانا لبعده عن الحق، ولبعده عن الخير، وبعض أهل اللغة قالوا: النون في (**شطن**) ليست أصلية، فأصله

(**شاط**) بمعنى احترق، أو هلك، تقول (**شاط، يشيط**) ولهذا تجدون في بعض كلام العرب يقولون (**اشتاط الرجل**) يعني احتدّ غضبا، فقالوا أصل الشيطان من شاط بمعنى احتق وهلك، لكن هذا القول ضعيف لأنه ثبت عن سيبويه أنه نقل عن العرب مشافهة أنهم قالوا: تشيطن إذا فعل أفعال الشياطين، ولو كان أصلها شاط لقالوا: تشيط فلان، فلما قالوا: تشيطن علمنا أن النون أصلية.

الشيطان يطلق على كل متمرد، سمي الشيطان لأنه متمرد، تمرد على رب العالمين، عصى أمر الله ﷻ وتمرد، وكل عات متمرد فهو شيطان في جنسه، كل عات متمرد من الإنس والجن والبهائم يسمى شيطانا، ولهذا جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال في الكلب الأسود (**إنه شيطان**) ما المقصود بشيطان؟ ليس جنيا، الآن الناس يفهمون خطأ يرون كلبا أسودا يخافون ويهربون، المقصود بشيطان أي أنه شيطان في جنس الكلاب، فكل متمرد شيطان، والله ﷻ يقول ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾الأنعام١١٢، فالإنس أيضا فيهم شياطين، فكل متمرد عات من الإنس فهو شيطان، كل متمرد عات من الجن فهو شيطان، كل متمرد عات من البهائم فهو شيطان، معنى شيطان أي أنه بعد عن الحق، وبعد عن الصواب.

هناك جن مؤمن لا يسمى شيطانا، كما أن هناك إنسان متمرد نسميه شيطانا، فهذا معنى كلمة شيطان، الشيطان هو كل من تمرد وعتا فهو شيطان، سواء كان من الإنس أو من الجن أو من البهائم.

[معنى رجيم]

(**الرجيم**) معناه الملعون لأن فعيل بمعنى مفعول، تقول مثلا (**كف خضيب**) أي (**مخضوب**) يعني فيه الحناء، تقول (**رجل قتيل**) بمعنى مقتول، (**فلان لعين**) بمعنى ملعون، (**شيطان رجيم**) بمعنى مرجوم، أي ملعون ومطرود من رحمة الله، لأن اللعن هو الطرد من رحمة الله، أصل الرجم أن يكون بالحجارة، والشيطان كذلك مرجوم

بالشهب، فهو ملعون ومطرود من رحمة الله ومرجوم بالشهب كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾الملك٥، وقال ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾الحجر١٦-١٨، هذا هو الشيطان، مرجوم وملعون ومطرود من رحمة الله، ترجمه الشياطين ويرجمه المؤمنون بالاستعاذة بالله منه، ولهذا قيل عنه إنه رجيم، وهذا هو القول الأشهر عند أهل العلم.

[حكم الاستعاذة في الصلاة]

هذه الاستعاذة وهي قولك (**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) تقدم معنا أنها تقال في أول تلاوة القرآن الكريم، وكذلك في الصلاة هل تقرأ أم لا تقرأ؟ فيها خلاف بين العلماء، فجمهور العلماء قالوا بأن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في الصلاة قبل القراءة سنة، وذهب ابن حزم الظاهري إلى أنها واجبة، وهو استدل بعموم الآية، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾النحل٩٨، والجمهور قالوا بأن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي أخطأ في صلاته، أمره ﷺ وبين له كيف يصلي ولم يأمره بالاستعاذة وهذا يدل على أنها ليست واجبة، لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة والنبي ﷺ علمه الواجبات، ولم يعلمه الاستعاذة، قالوا: فيكون هذا الحديث مخصصا للآية، قالوا: فالأصل أن هذه الاستعاذة إنما يؤتى بها لغيرها، يؤتى بها بسبب القراءة، وما يؤتى به لغيره لا يكون واجبا، هكذا الجمهور قالوا.

والإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لا يؤتى بالاستعاذة لا في صلاة الفريضة، ولا في صلاة النافلة، إلا في صلاة التراويح من شهر رمضان يؤتى بها في الليلة الأولى فقط، ثم لا يؤتى بها بعد ذلك، وهذا القول لا دليل عليه، فالسنة أن

يؤتى بها في الصلاة قبل القراءة، ولكن هل يؤتى بها في كل ركعة أو يكتفي بأن يأتي بها في ركعة واحدة؟ هذا يرجع لاختلاف العلماء في مسألة فقهية وهي (**هل القراءة في الصلاة الواحدة، هي قراءة واحدة، أو أنها قراءات متعددة بينها فواصل**؟) الذين قالوا: هي قراءة واحدة، قالوا: يكفي أن تأتي بالاستعاذة في ركعة واحدة فقط، والذين قالوا إنها قراءات متعددة بينها فواصل قالوا: يؤتى في كل ركعة بالاستعاذة، لكن الظاهر أنها قراءة واحدة، وليست قراءات متعددة فيكتفى عند ذلك بالاستعاذة في الركعة الأولى، فإذا استعاذ في الركعة الأولى كفاه ذلك في صلاته كلها .

إذن فيؤتى بالاستعاذة سواء في الصلاة أو خارجها قبل القراءة كما تقدم معنا خلافا للظاهرية الذين قالوا يؤتى بها بعد القراءة، هذا فيما يتعلم بمسألة الاستعاذة، وإن كان بعض العلماء خاضوا في مسائل أخرى ك: هل الاستعاذة في الصلاة تكون للصلاة أو للتلاوة، بعضهم قال للتلاوة، وبعضهم قال للصلاة، الذين قالوا للصلاة، قالوا: يأتي بها الإمام والمأموم وإن لم يقرأ لأنها للصلاة وليست للتلاوة، والذين قالوا هي للتلاوة، قالوا: يأتي بها الإمام دون المأموم، إلا إذا كان الإمام يقرأ، والصحيح أن الاستعاذة للتلاوة، ولا مانع من أن يأتي بها المأموم أيضا، حتى وإن لم يقرأ، حتى وإن كان في الصلاة الجهرية منصتا لا مانع حينئذ من الإتيان بها، هذا ملخص ما يتعلق بالاستعاذة.

وإن كان هناك شيء لم أذكره سآتي عليه المجلس القادم إن شاء الله، ونكتفي بهذا القدر لأن هذه الدروس ربما تحتاج إلى شيء من التركيز فلا أطيل عليكم.

سؤال الطالب: . . . . [غير واضح].

الشيخ: نعم الصحيح أنهم من ذرية إبليس لأن الله قال ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾الكهف٥٠، وهو مخلوق قبل الجن، يعني هو من جنس الجن، وهو خلق من نار، والجن أيضا خلقوا من نار، مصدرهم واحد، ولا يمنع أن يكون من ذرية إبليس من هو مؤمن، كما لا يمنع أن يكون من ذرية النبي آدم من هو كافر، كذلك أبناء الشيطان منهم من هو مؤمن ومسلم، لكن الغالب فيهم الشر، المؤمنون فيهم قلة، لأن هذا هو طبعهم، ولهذا كما تقدم معنا في المجلس الماضي، أن الله ﷻ أمرنا بمصانعة العدو الإنسي، لأنه طيب الأصل ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾الأعراف١٩٩، وفي الآية الأخرى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾فصلت٣٤، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾المؤمنون٩٦، لكن لما وصل إلى العدو الشيطان قال ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾الأعراف٢٠٠ لم يقل تعامل معه بالمصانعة، أو بالتي هي أحسن، لأن المصانعة لا تنفع معه، والإحسان إليه لا ينفع، فهو عدو مهلك بخلاف الإنسي فإن نفعه طيب، بخلاف الشياطين فأصلها خبيث، لكن هذا لا يمنع أن يكون فيهم المؤمن، كما لا يمنع أن يكون في من أصله طيب من هو خبيث كالكفار ونحوهم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وبارك الله فيكم، والسلام عليكم.